التّناسبُ الصّوتيُّ والدّلاليُّ في سورةِ الرَّحمٰن
دراسةٌ تحليليَّةٌ

The Phonetic-Semantic Proportionality in Surah Ar-Rahman
An Analytical Study

زكية محمد خالد أحمد [1]

Zakia Mohammad Khalid Ahmad [1]

10.15849/ZJJHSS.250330.09

الملخص

تُعنى هذهِ الدِّراسَةُ بالبحثِ في جانبِ التَّأثيرِ الصَّوتيِّ ودورِهِ المحوريِّ في إيصالِ المعاني والتَّأثيرِ في المتلقّي منْ خلالِ البحثِ في قضيَّةِ "التَّناسبِ الصّوتيّ والدّلاليّ في سورةِ الرَّحمن"، الّتي تتميَّزُ بجماليَّاتِها الصَّوتيَّةِ وبنائِها الفنّيِّ الفريدِ الّذي يجذبُ المتلقّين. وتكمنُ أهمّيَّةُ هذهِ الدِّراسةِ في كونِ التَّناسبِ لا يقتصِرُ أثرُهُ على التَّأثيرِ الإيقاعيِّ، بل يتعدّى ذلكَ إلى ما ينتجُ عنِ العلاقةِ بينَ الصَّوتِ والدَّلالةِ وأثرِها في تبليغِ الرسالةِ وتحقيقِ المعنى المراد.

وتهدفُ هذه الدِّراسةُ إلى تحليلِ البنيةِ الصّوتيَّةِ لسورةِ الرّحمن، وتقييمِ دورِ الإيقاعِ والتَّكرارِ الصَّوتيِّ في تشكيلِ المعاني البلاغيَّةِ والدَّلاليَّةِ، إضافةً إلى الكشفِ عنِ الخصائصِ الفنّيَّةِ الصّوتيّةِ للنّصِّ القرآنيِّ وتأثيرِها على المتلقّي.

تعتمدُ الدّراسةُ المنهجَ الوصفيَّ التّحليليَّ، بالاستنادِ إلى المصادرِ البلاغيَّةِ التّقليديَّةِ والدّراساتِ الصّوتيَّةِ الحديثةِ. وتُبرِزُ كيفَ يُسهِمُ التَّكرارُ الصَّوتيُّ والتَّناسُقُ البلاغيُّ في تثبيتِ المعاني وتعميقِ إحساسِ المتلقّي بنِعَمِ اللهِ.

وانطلاقًا من هذهِ المنهجيَّةِ تمَّ تقسيمُ هذهِ الدِّراسةِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ. أوّلًا: في مفهومِ التّناسبِ، ومقدّمةٌ حولَ سورةِ الرّحمن. وثانيًا: في البنيةِ الصّوتيَّةِ للسّورةِ. وثالثًا: في تحليلِ البنيةِ الصَّوتيَّةِ.

ومنْ خلالِها تمَّ التّوصُّلُ إلى أنَّ التّناسبَ يعدُّ جزءًا أساسيًّا منْ إعجازِ السّورةِ وبلاغتِها؛ فقد أظهرتِ النَّتائجُ أنَّ التّوازنَ بينَ الصَّوتِ والمعنى والتّنغيمِ والتَّكرارِ ساهمَ في تعزيزِ التَّأثيرِ البلاغيِّ والدَّلاليِّ للنّصِّ. كما قدَّمتِ الدّراسةُ نموذجًا يمكنُ تطبيقُهُ على سورٍ أخرى لفهمٍ أعمقَ لدورِ الصَّوتِ في خدمةِ المعنى في النّصوصِ القرآنيَّةِ.

الكلمات المفتاحية: التّناسب الصّوتي، التّناسب الدّلالي، البنية الصّوتيّة، التّكرار.

Abstract

This study examines the impact of phonetic effects and their role in conveying meanings and influencing the audience, focusing on “phonetic and semantic proportionality in Surah Ar-Rahman.” Known for its phonetic beauty and unique artistic structure, Surah Ar-Rahman captivates listeners. The significance of this research lies in demonstrating how proportionality extends beyond rhythmic effects to encompass the interplay between sound and meaning, aiding in message delivery and achieving intended meanings.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

The study aims to analyze the phonetic structure of Surah Ar-Rahman, evaluating the role of rhythm and repetition in shaping rhetorical and semantic meanings. It also explores the artistic phonetic features of the Quranic text and their emotional impact on the audience. Employing a descriptive-analytical method, the research draws on traditional rhetorical sources and modern phonetic studies to investigate how phonetic repetition and rhetorical harmony enhance meaning and deepen the sense of Allah's blessings.
The study is divided into three sections: an introduction to proportionality and Surah Ar-Rahman, an exploration of its phonetic structure, and an analysis of its' structure.
Through this, it was concluded that harmony is a fundamental aspect of the Surah's miraculous nature and eloquence. The results revealed that the balance between sound and meaning, intonation, and repetition contributed to enhancing the rhetorical and semantic impact of the text. The study also presented a model that can be applied to other Surahs to gain a deeper understanding of the role of sound in serving meaning in Qur'anic texts.
Keywords: Phonetic harmony, semantic harmony, sound structure, repetition.

[1] جامعة زايد، كلية العلوم الإنسـانية والاجتماعية، قسـم اللغة العربية والدراسات الإسلامية والقانونية، اللغة العربية، الأدب والنقد
* للمراسلة: alzakiya@gmail.com
تاريخ استلام البحث: 2024/11/19
تاريخ قبول البحث: 2025/01/09

[1] **Zayed University, College of Humanities and Social Sciences, Arabic, Islamic and Legal Stud, Arabic Language , Literature and Criticism**
***Corresponding author:** alzakiya@gmail.com
Received: 19/11/2024
Accepted: 09/01/2025

المقدمة

يعد القرآن الكريم نصا معجزا بالدرجة الأولى، تلقاه النبي –صلى الله عليه وسلم– وحيا بليغا متحديا في فصاحته وإعجازه. ويكمن جزء كبير من قيمته في الجانب التأثيري المتعلق بالسماع والتلقي، والذي تؤدي الأصوات فيه دورًا محوريًا في إيصال المعاني والتأثير في نفس المتلقي، وذلك لما تحمله من خصائص بلاغية وفنية تعزز من فهم النصوص وتعمق الإحساس بفهم معانيها.

وتتجلى هذه الخصائص بوضوح في سورة الرحمن التي وقع عليها الاختيار في هذه الدراسة وهي سورة مدنية، تعرف بعروس القرآن، وتعنى بتجسيد رحمة الله الشاملة عبر استعراض مظاهر النعم في الكون، وإثبات قدرته سبحانه وتعالى في الخلق، ودعوة الناس والجن لتأمل تلك النعم، مع بيان عواقب الطغيان والثواب العظيم للمتقين، وهي تعد من السور المميزة عند المتلقين من ناحية جماليات التأثير الصوتي. هذه السورة التي توصف بأنها "عروس القرآن"، تلفت انتباه السامع والقارئ بما تحمله من إيقاع خاص يتسم بالتكرار المتناغم والعبارات القصيرة المتتابعة التي تُسهم في خلق جو من السكينة والتأمل في الأبعاد المعنوية لهذا التناغم الصوتي والبلاغي.

تستمد سورة الرحمن كثيرًا من جاذبيتها الصوتية من تكرار جملة "**فبأي آلاء ربكما تكذبان**"، التي ترد 31 مرة في سياقات متعددة. وهي أكثر ما يلفت انتباه المتلقي، وهذا التكرار ليس فقط عنصرًا جماليًا، بل هو جزء من الرسالة البلاغية للسورة. إذْ يعزز الصوت في هذه الجملة التأكيد على نعم الله وفضله، ويوجه الإنسان للتفكير في هذه النعم والتساؤل حول مدى تقديره لها. كما أن هذا التكرار يخلق إيقاعًا موسيقيًا يجعل السورة محفورة في الأذهان ويسهل حفظها وتدبرها.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وبالإضافة إلى تكرار هذه الآية، فإن التنغيم العام للسورة والمقاطع الصوتية وأسلوب ترتيب الآيات والفواصل الصوتية بين الكلمات، كلها تساهم في تعزيز المعاني ودفع المتلقي إلى التأمل في معاني الآيات والغرض منها. ومن هنا، تصبح دراسة الصوت في هذه السورة من الدراسات الضرورية لفهم أبعادها الجمالية والدلالية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية البحث في التناسب الصوتي والبلاغي في النص القرآني، في جانب التكرار الصوتي والإيقاع الموسيقي في النصوص القرآنية والذي يخدم هدفاً سامياً لا يقتصر على التأثير الإيقاعي، بل يتعدى ذلك إلى ما ينتج عن العلاقة بين الصوت والدلالة، فالصوت "هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"[(1)]، وهذا التركيب اللغوي والتناسق الصوتي يحمل وجوهاً دلالية صاغها ذلك التركيب المتفرد والنسق المتسق ليؤدي المعنى المطلوب والتأثير المراد في المتلقي، وذلك من خلال انتقاء الأصوات الملائمة للمعنى المراد.

إن التناسب الصوتي ليس وسيلة لجعل النص أكثر جاذبية أو تأثيرًا من الناحية السمعية فحسب، ولكنه أيضًا يُعد عنصرًا دلالياً يعمق المعنى ويزيد من وضوح الرسالة. وسورة الرحمن تُعد نموذجاً مثاليًا لدراسة هذا التناسب، فالجوانب الصوتية للسورة تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من بناء المعنى.

فمثلاً التكرار الصوتي لحروف بعينها كالنون والباء والميم، والتكرار لجملة "فبأي آلاء ربكما تكذبان" يُحقق أكثر من مجرد جمال صوتي؛ إنه يعمل على تثبيت الرسالة وتوجيه ذهن المستمع نحو التأمل في نعم الله التي تتنوع بين النعم الحسية والمعنوية. وبلاغة هذا التكرار تكمن في قدرته على التأكيد وتوجيه الانتباه، وجعل الرسالة أكثر وضوحا وتأثيرًا في نفس المتلقي.

ولذا فإنّ إبراز هذا التناسب الصوتي يعزز من فهمنا لكيفية تفاعل الأصوات مع الدلالة، وكيف يمكن للصوت أن يكون جزءًا من بلاغة النص، مما يجعل القرآن الكريم ليس فقط نصًا يُقرأ، بل أيضًا يُسمع ويُرتل بأسلوب يجعله أكثر تأثيرًا، وهذا هو أحد مكامن الإعجاز والبلاغة فيه.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية المتعلقة بتحليل التناسب الصوتي والمعنوي في سورة الرحمن. وهي:

- التمهيد النظري لمفهوم التناسب، والإطار العام للسورة.
- تحليل البنية الصوتية لسورة الرحمن: إذ ستحاول دراسة كيفية تكوين الصوت في السورة وتحليل تكرار الجمل والأنماط الصوتية الأخرى التي تميزها، بما في ذلك التنغيم والفواصل القرآنية.
- تقييم دور الإيقاع والتكرار الصوتي في تشكيل المعاني البلاغية والدلالية: سيتم التركيز على كيفية تعزيز التكرار الصوتي لجملة "فبأي آلاء ربكما تكذبان" لمعاني الرحمة والنعم الإلهية، وكيف يساهم ذلك في التأكيد على هذه النعم.
- الكشف عن الخصائص الفنية الصوتية للنص القرآني وتأثيرها على المتلقي من منظور نقدي: من خلال التحليل الفني والبلاغي سيتم توضيح كيفية استخدام القرآن للنظام الصوتي لتوجيه الرسائل البلاغية والدلالية.

[(1)] الجاحظ: عمرو بن بحر، (255هـ) البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1984، ج1/ 56.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحليل دلالات الجوانب الفنية والجمالية في سورة الرحمن، حيث سيتم التركيز على التناسب بين الصوت والمعنى من خلال تحليل ودراسة البنية الصوتية –التي تعد بنية أساسية في الظاهرة اللغوية– وتعقّبها من خلال آليات منهجية تساعد على تتبعها بمنظور نقدي. وسيتم الاعتماد على المصادر البلاغية التقليدية، مثل كتب الجرجاني والزركشي والزمخشري، لفهم كيفية تفسير العلماء القدامى للجوانب البلاغية والصوتية في القرآن الكريم. إلى جانب ذلك، سنعتمد على الدراسات الحديثة في علم الأصوات والبلاغة الصوتية لفهم كيفية تأثير الأصوات والإيقاعات على المتلقي من الناحية النفسية والروحية. في محاولة لتكون هذه المنهجية شاملة ومتعددة الأبعاد، بحيث تشمل التحليل اللغوي والدلالي والصوتي مع التركيز على الجوانب الجمالية في النص القرآني.

ونظرا لكون سورة الرحمن من السور ذات الإيقاع المميز؛ فقد يمم العديد من الباحثين وجوههم شطرها بالبحث والدراسة، وأولوْا البناء الصوتي النصيب الأهم من دراساتهم، ومن أهم هذه الدراسات:

- البنية الصوتية في سورة الرحمن، نعيمة تواني، بحث منشور في مجلة اللسانيات، مجلد 26، العدد1.
- "تجليات الصوت اللغوي في سورة الرحمن، بحث منشور في مجلة آداب ذي قار، العدد 32.
- الفاصلة القرآنية بين الإيقاع والدلالة سورة الرحمن أنموذجاً، آسية داحو، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، العدد 16.

ولذا نأمل أن يكون هذا البحث إضافة لهذه الدراسات وأن يسهم في تقديم تصور جديد وفهم أعمق لدور التناسب الصوتي في تعزيز المعاني في النصوص القرآنية، مع تقديم نموذج تحليلي يمكن تطبيقه على سور أخرى من القرآن الكريم.

أولا: الإطار النظري

في مفهوم التناسب

يُعد البحث في التناسب من أهم المباحث التي اهتمّ بها البلاغيون لما لها من تأثير في إبراز الجمال الفني والبلاغي للنصوص الأدبية بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص وأكثر تميزاً، إذْ تتجلى ظاهرة التناسب في النصوص القرآنية بشكل فريد بحيث يتكامل فيه التناسب والتناسق الصوتي مع المعنوي ليشكل نصاً بليغاً فريداً في مبناه ومعناه وفي القيمة التأثيرية التي يحملها للمتلقين. في هذه الدراسة سنعرّج على المفاهيم الأساسية لهذا المفهوم، والتي تمهد الطريق لدراسة التناسب في سورة الرحمن.

التناسب لغة: مأخوذ من الأصل اللغوي نَسَبَ، وهو "اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به"[1]، و"المناسبة: المشاكلة يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم: لا نِسبة بينهم وبينهما نِسبة قريبة"[2].

---

[1] الرازي: أحمد بن فارس (395 هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1979م، ص 5/423.

[2] الزبيدي: محمد مرتضى (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ط2001، ص4/265.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

التناسب اصطلاحا

يبدو لنا جلياً من المعنى اللغوي أنّ النسب هو الارتباط أو القرابة وهو ينقلنا إلى المعنى الاصطلاحي، الذي عرفه البقاعي بقوله: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال"[1]، فهو مرتبط بالأحوال الدلالية للنص وكيف تفهم الكلمات والجمل في سياقات معينة من جهة، والتعبير عنها بطريقة جمالية معبّرة بما يتناسب مع السياق ويناسب المتلقي والظروف المحيطة به من جهة أخرى. وهو ما فصّل فيه الجرجاني في حديثه عن النظم، فنراه يطلقه على جميع منازل العلاقات بين الكلام، "ووجدت المعول على أن ههنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضل هناك النظم، والتأليف التأليف، والنسج النسج، والصياغة الصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثر المزية، حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا، ويتقدم منه الشيء، ثم يزداد فضله ذلك"[2].

وقد يظن الناظر في تعريف البقاعي أن التناسب مرتبط برتب الكلام ومقصور على العلاقة بين أجزائه، ولكنه في الواقع كما يبيّن في كثير من المواضع يتناول كل جوانب البيان التركيبية والترتيبية، فبه "تتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلِمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة"[3]، أما ابن العربي فيرى التناسب أنه "ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منتظمة المباني"[4]. وهذا يعود بنا إلى المعنى اللغوي المتعلق بالترابط والاتساق، بحيث تكون الآيات متصلة ببعضها البعض في المباني والمعاني، لتتكامل جميع أجزاء النص لتحقيق المقصد المشترك والغاية المطلوبة. وهذا الترابط بين الآيات والمعاني هو أحد أهم أسباب القوة البلاغية والدلالية للنص القرآني، حيث تترابط المعاني والأفكار لتقديم رسالة متكاملة، وهذا بالضبط ما تشير إليه "الدلالة النصية" التي تركز على دراسة تظافر المعاني في النص لتكوين الدلالة الشاملة، وهي تتماشى تماماً مع فكرة الاستمرارية الدلالية التي يشير إليها جميل عبد المجيد في حديثه عن التناسب بأنه "يختص بالاستمرارية المتحققة في علم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[5].

---

[3] البقاعي: برهان الدين أبو الحسن (1480هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، ج1/ 5.

[1] الجرجاني: عبد القاهر (392هـ) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر. مطبعة المدني– القاهرة، دار المدني– جدة. ط3، 1992م، ج1/ 35–34.

[2] البقاعي: نظم الدرر، ج1/ 14.

[3] الزركشي: محمد بن عبد الله (1392هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، (1975م)، ج1/42.

[4] عبد المجيد: جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1998م، ص141.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

نخلص مما سبق أن مفهوم التناسب يتعلق بشكل كبير بالجانب الدلالي للنص، ويركز على أهمية العلاقات الرابطة بين المفاهيم داخل النص مما يخلق وحدة دلالية متكاملة تساعد في تحقق الفهم العميق والشامل للبنية النصية.

التناسب الصوتي والدلالي

بناء على ما سبق من حديثنا حول مفهوم التناسب، يمكن أن نقول إنّ التناسب الصوتي والدلالي هو مفهوم بلاغي يعكس التفاعل بين الأصوات ودلالات المعاني في النصوص، وخاصة النصوص الأدبية والقرآنية. ويمكننا أن نتلمسه في التكامل بين العناصر الصوتية المختلفة مثل تكرار الحروف والفواصل، والإيقاع وعلاقة ذلك بدلالة النص والمعنى الذي يريد إيصاله للمتلقي، وتأثيره عليه.

ويشير التناسب الصوتي إلى تناسب الأصوات والحروف والتراكيب في البنية النصية بشكل مدروس، لتؤدي وظيفة دلالية معينة ولتعزيز فكرة أو تحقق تأثير خاص. وفي القرآن الكريم نلاحظ الدقة في استخدام الأصوات والحروف بشكل يعكس دلالات وإيحاءات خاصة تدعم الرسالة التي يرمي النص إلى تحقيقها في المتلقي. فعلي سبيل المثال تتكرر الأصوات اللينة والرخوة والمقاطع الساكنة في الآيات الدالة على الهدوء والسكينة والترغيب، كقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (سورة الرعد: 28) وفي المقابل تنقل لنا الأصوات الحادة والقوية معاني القوة والتحذير والترهيب كقوله تعالى: {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ}(السجدة: 20).

وقد عالج السيوطي في كتابه "المزهر" مسألة العلاقة بين الألفاظ والمعاني، مستلهمًا في أغلب ما طرحه من أفكار ابن جني. وقد أشار ابن جني في كتابه "الخصائص" إلى أن هذا الموضوع يعود في جذوره إلى الخليل وسيبويه، حيث أكد على أهمية هذه العلاقة. فقد ذكر الخليل أن صوت الجندب قد يُفهم منه الاستطالة، مما أدى إلى اشتقاق كلمة "صَرَّ"، بينما توحي أصوات أخرى مثل صوت البازي بتقطيع، مما أدى إلى اشتقاق "صرصر"، كما أشار سيبويه إلى أن بعض الأوزان مثل "الفَعَلان" تعكس الاضطراب والحركة، مثل "النَقَزان" و"الغليان"[1]. (السيوطي: 1: 40-46).

ويورد ابن جني في هذا السياق ذاته "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونَهْج مُتْلِئِب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها. وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعِره. من ذلك قولهم: خَضم وقضم. فالخَضْم لأكل الرَّطْب كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطْب. والقَضْم للصُلْب اليابس نحو قضِمتِ الدابَّة شعيرها ونحو ذلك. وفي الخبر قد يُدْرَك الخَضْم بالقَضْم أي قد يدرك الرخاء بالشدّة واللين بالشَظَف. وعليه قول أبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعِد الله. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب والقافَ لصلابتها لليابس حَذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح قال الله سبحانه: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن، 55: 66] فجعلوا الحاء –لرقّتها– للماء الضعيف والخاءَ –لغِلَظها– لما هو

[1] السيوطي: جلال الدين(911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار النشر العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1/ 40-46.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

أقوى منه ومن ذلك القَدّ طُولا، والقطّ عَرْضا. وذلك أن الطّاء أحصر للصوت وأسرع قطعا له من الدال. فجعلوا الطاء المناجِزة لقطع العَرْضِ، لقربه وسرعته، والدالَ المماطِلة لِما طال من الأثَر، وهو قطعه طولا"[1].

فهذا تأكيد على علاقة الصوت بالدلالة إذ يتعلق التناسب الدلالي بتناسق المعاني الواردة في النص واتساقها بطريقة منظمة بما يساعد في إبراز الفكرة، من خلال آليات بلاغية معينة مثل التكرار والجناس والطباق وغيرها، والتي لا تكون عشوائية وإنما تأتي بطريقة مدروسة تتناغم مع البناء الصوتي للنص لتعزز التأثير الكلي وتحقق الأثر المطلوب، مثل تكرار اللفظ الواحد، ومثاله: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون} [المؤمنون: 36]، وتكرار الآية الكاملة في سورة الرحمن: {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، وكذلك في سورة المرسلات {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ}.

وقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على سورة الرحمن، باعتبارها مثالاً بارزاً يتضح فيها التناسب الصوتي والدلالي بشكل لافت للانتباه، بل ومثير للاهتمام، إذ أنّ تكرار آية {فبأي آلاء ربكما تكذبان} ليس مجرد تكرار وحسب؛ إنما هو وسيلة دلالية لتعزيز المعنى البلاغي، هذا التكرار يخلق نوعاً من التناغم والاتساق بين الصوت والمعنى يدرك من خلالها المتلقي آلاء الله ونعمه الجزيلة التي تستوجب الشكر، كما أنّ للمقاطع الصوتية والحروف فيها دلالات واضحة سنتوقف عليها إن شاء الله تعالى.

إذن فللتناسب الصوتي والدلالي أهمية كبيرة في فهم البنى النصية، الأدبية، والقرآنية، إذ تُسهم في إثراء فهم المتلقي من خلال الدمج بين الجانين الصوتي والدلالي في النص. إنه يتجاوز جانب الإيقاع الصوتي، أو مجرد التوكيد على الأفكار إلى التفاعل مع السياق الدلالي والجانب التأثيري للنص.

- أهمية دراسة التناسب في الدراسات القرآنية

تمثل دراسة التناسب جانباً مهما من جوانب الدراسة الدلالية خاصة فيما يتعلق بجوانب الإعجاز والبلاغة، لأنه يعكس الترابط والتناسق بين العناصر الصوتية والدلالية في النص.

ذلك إن أول شيء حسّته وتحسه الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي المتقن والبليغ الذي تتسق فيه الحركات والسكنات وتنقسم تقسيما بارعاً يجذب الأذن لسماعه وينشط له السامع موزعة فيه حروف المدّ والغنة توزيعاً بديعاً حتى يصل إلى الفاصلة القرآنية، هذا النظم الذي سيبقى صوته في أسماع الناس ما دامت فيهم حاسة السمع والتذوق، هذا إلى جانب عجائب البيان من دقة التعبير والدلالة ومتانة اللفظ الذي يؤدي المعنى المطلوب في اللفظ المقصود.[2]

سورة الرحمن

مقدمات عن السورة

تعارف الناس على تسميتها ب "عروس القرآن"، وهي من باب الوصف كما أشار العلماء، وكما ورد في الأثر، "ذكر في الإتقان: أنها تسمى "عروس القرآن" لما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن" وهذا لا يعدو أن يكون ثناء على هذه السورة وليس هو

[2] ابن جني: أبو الفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج2/157 -158.

[1] دراز: محمد عبد الله. النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط2، 1970م. ص104-102.

من التسمية في شيء كما روي أن سورة البقرة فسطاط القرآن"[1]. وقد أطلق عليها هذا الوصف لمنزلتها وما تحمله من معانٍ ودرر تركز على آلاء الله تعالى ونعمه. أمّا في الحديث عن سياق ورودها؛ فإنها جاءت بعد سورة القمر، ولما خُتمت سورة القمر السابقة لها "بعظيم الملك وبليغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال"[2] وهذا الاسم (الرحمن) هو الذي عليه أُطلق اسم السورة. وهي السورة الوحيدة في القرآن التي ابتُدئت باسم من أسماء الله تعالى.

وقد ابتدأت السورة بتعداد آلاء الله تعالى ونعمه الباهرة على الخلق في الدنيا والآخرة، وأنّ العديد من سور القرآن الكريم تعداد للنعم، فافتتاح هذه السورة باسم {ٱلرَّحۡمَٰنُ} براعة استهلال وفيه لفت للانتباه، ثم التذكير بدلائل قدرة الله تعالى وما فيها من نعم على الناس، وخلق الجنّ وإثبات جزائهم، والموعظة بالفناء، وانتقل من ذلك إلى التذكير بيوم الحشر والجزاء، وقد تخلل ذلك الحديث عن العدل وتوفية الحقوق لأصحابها، وحاجة الناس إلى رحمة الله وفيما خلق لهم وما أعد من الجزاء للمجرمين ومن الثواب والكرامة للمتقين ووصف نعيم المتقين بأبدع وصف وصورة[3]. وختمت السورة بأنسب وأفضل ختام {تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ} وهو تمجيد لله تعالى وتمجيد لاسمه الكريم، تمجيداً يليق بصاحب النعم والآلاء على ما جاد به وأنعم وأكرم، وبذلك يتناسب المطلع مع الختام تمجيداً وتنزيهاً وتعظيماً، ويتناسقان في أبهى صور البلاغة والبيان.

ثانيا: البنية الصوتية في سورة الرحمن

المقاطع الصوتية

تعد سورة الرحمن من السور القرآنية التي تتميز بتناسق صوتي فريد ولافت للانتباه، يثير إعجاب القارئ ويحرك فيه مكامن الشعور، إذ تجمع السورة بين المقاطع الصوتية المكررة والحروف ذات الجرس المميز التي تحقق توازناً لطيفاً بين الصوت والدلالة، وتساهم هذه الأصوات في إيصال دلالات معنوية، وترسل رسائل إيحائية تعزز من الأثر النفسي والجمالي للسورة والتفاعل الذي تحدثه مع المتلقي. وتعد الدراسة الصوتية للسورة من الدراسات البلاغية ذات القيمة المميزة من خلال التفاعل الحاصل بين البنية الصوتية للنص والمتلقي.

وبالنسبة للمقاطع الصوتية فإنّ الوحدة المقطعية في السورة "تخضع لنظام الإحكام لا تنفصل أثناء عملية النطق، هذا الخضوع يرِد وفق مقتضيات السياق، فهي تتنوع في النص بتنوع الآلاء"[4]، إذ نرى أن المقاطع الصوتية في السورة متنوعة بين القصيرة والمتوسطة والطويلة.

---

[2] ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر– تونس، 1984م. ج 27/ 227.

[1] البقاعي: نظم الدرر، ج19/ 140.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج27/ 229.

[3] تواتي، نعيمة، البنية الصوتية في سورة الرحمن، مجلة اللسانيات، المجلد 26، عدد 1، 2020م، ص76–61.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

نلاحظ أنّ السورة الكريمة تبدأ بالمقاطع القصيرة في الآيات الأولى: {ٱلرَّحۡمَٰنُ (1) عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (2) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ (3) عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ}، ثم تنتقل بالتدريج إلى المقاطع المتوسطة: {ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ (5) وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ (6) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ (8)}، وبعدها تأتي بعض المقاطع الطويلة المتفرقة في السورة، في مواضع محددة مثل الآية (33): {يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ}.

وهذا التفاوت في المقاطع الصوتية يعكس الإعجاز الجمالي في مزج جمال البنية الصوتية بالدلالة المعنوية من حيث:

الإيقاع الصوتي المؤثر

فالبدء بالمقاطع الصوتية القصيرة {ٱلرَّحۡمَٰنُ (1) عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (2) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ (3) عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ} يعطي تأثيراً سمعياً وإيقاعياً متسارعاً وكثيفاً لافتاً للانتباه ومشوّقاً، بحيث أنه يجذب انتباه المتلقي ويحدث تأثيراً سمعياً خاصاً يدفعه لمتابعة القراءة، خاصة أن هذه المقاطع القصيرة جاءت مركزة في افتتاح السورة، لتحدث التأثير الصوتي المطلوب للمتلقي والمتدرج تصاعدياً في ما يمكن أن نطلق عليه (السلّم الصوتي) في السماع والقراءة بدءاً من الآية الأولى وحتى يصل لقمة السلم الصوتي في الآية رقم 13، {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

هذا الإيقاع المتصاعد يلقي التأثير المناسب في نفس وسمع المتلقي، عندما يصل إلى رأس السلم، وهكذا يتكرر كلما ارتفع الإيقاع وهبط ليتناسب الصوت مع المعنى.

التدرج السلس في عرض الحقائق

فمع تقدم السورة تتدرج الآيات شيئاً فشيئاً في المقاطع الصوتية، في طولها وإيقاعها، وفي الأفكار التي تطرحها. وهذا التدرج نراه في جميع أجزاء السورة؛ بدءاً من مقدمتها. على سبيل المثال عند الحديث عن الجنة التي وُعد بها المتقي ربه: {وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ (48) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ (52) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ (54) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ (56) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ (58) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ}.

نلاحظ التدرج في وصف الجنتين، وصفاً تخييلياً ينقل للمتلقي صورتهما بتسلسل مريح للتأمل، فهما جنتان ذواتا أغصان وارفة، يجري فيهما نهران، تحيط بها من أطرافها أشجار الفواكه، ومن كل فاكهة صنفان فلك أن تتخيل! والمتقين المنعمين متكئين على فرش مبطنة بالحرير وصنوف الفاكهة قريبة منهم، وزوجاتهم معهم ويصف جمالهن كأنهن الجواهر النقية المتلألئة. ثم يختم المقطع بسؤال تعجبي {هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ}! هل جزاء من أحسن واتقى، إلا الإحسان!

التناسب في المقاطع بين المبنى والمعنى

نلاحظ التناسب بين المقاطع في طولها، مع معانيها، فالآيات القصيرة تتناسب مع المعاني التقريرية التي تثبتها والتي لا جدال فيها، مثل الرحمن، وهو الذي أنزل القرآن وخلق الإنسان وعلمه التمييز والتبيان، وكذلك في الحديث عن الشمس والقمر. وفي وسط السورة في وصف الجنان وتقرير ما فيها.

بينما تأتي الآيات الطويلة في مواضع تناسب الشرح والتفصيل، مثل: {يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ}، فطول المقطع الصوتي هنا يناسبه التحدي وتقديم الحجة، فالمقام هنا مناسب للتفكير والتأمل وإعمال الفكر.

التوازن بين الترغيب والترهيب

أمر آخر يضفيه التفاوت في المقاطع الصوتية، متعلق بالتوازن والتناسب الذي تضفيه على آيات الترهيب والترغيب، ففي حين تقرر المقاطع القصيرة النعم وتذكّر بآلاء الله تعالى –وهي هنا لا تحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح لأنها بارزة وظاهرة ملموسة–، {عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ (2) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ (3) عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ}، تأتي بعدها المقاطع المتوسطة والطويلة في مراحل لاحقة في وسط السورة ونهايتها لتصف تفاصيل الوعيد، وكذلك النعيم المرتقب مثلاً: مما أعده الله تعالى للمؤمنين أو الكافرين، وهي تحتاج إلى تفصيل أكثر ليقع أثرها في نفس المتلقي وتحقق التأثير المرجوّ، مثل قوله: {فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ (39)}، وقوله: {فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ (68)}.

وإجمالاً فإنّ التفاوت والاختلاف في الوحدة الصوتية في سورة الرحمن لم يكن اعتباطيا، إنما هو جانب مهم من الإعجاز الصوتي البلاغي الذي يخدم القيمة الدلالية للسورة، ويعزز من قيمتها التأثيرية.

ثالثا: تحليل البنية الصوتية في السورة

يأخذنا تحليل البنية الصوتية في السورة إلى الوقوف عند عدة محطات تشكل هذه البنية، فالسورة الكريمة تجسّد الاستخدام البارع للأنماط الصوتية المختلفة، وللنبر والتنغيم، والتكرار، والتي تعزز بدورها – جميعاً– التأثير الدلالي والمعنوي للنص، وسيتم التركيز في هذه الجزئية على هذه المحطات التي تجسد القيمة الصوتية في السورة.

الفاصلة القرآنية

تعدّ الفاصلة القرآنية من أبرز الظواهر القرآنية اللافتة للانتباه، والفاصلة القرآنية: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا"[1][2].

وفي سورة الرحمن تأتي الفواصل القرآنية لتشكل قيمة صوتية عالية، وتأثراً دلالياً واضحاً، من خلال النمط الصوتي المتكرر الذي يعزز الإيقاع الموسيقي للسورة، ويخدم الجانب الدلالي بشكل واضح. وتتركز الفاصلة القرآنية في ثلاث أصوات هي: (ن) و (م) و (ر) على التوالي في تركيزها، وهي أصوات متشابهة وهي جميعها تخلق توازنا وانسجاماً صوتيا ملفتاً تلقي بظلالها على معاني الآيات ودلالتها. ذلك أن "القرآن حين يراعي الفاصلة وتبقى على تنغيمها، إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير لأن رنين الكلمة وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير، وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار"، وفواصل السورة في وزنها تتركز في صوت النون الذي جاء في تسعة وستين موضعاً، ويليه صوت الميم في سبعة مواضع، ومن ثم صوت الراء في موضعين فقط.

---

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1/ 53–54.

[2] الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط 1999م، ج1/ 143.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

والفواصل في القرآن كما قسمها الزركشي متماثلة، ومتقاربة، يقول: "فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين؛ بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة"[1]، وسورة الرحمن اجتمع فيها النوعان؛ فأما الفاصلة السائدة فهي النون، وأقرب الأصوات للنون في المخرج هو الميم، فالميم والنون من الفواصل المتقاربة، والتقارب في الحروف يكون بين حرفين تقاربا مخرجاً وصفة[2]، ثم يأتي الراء وهو يقترب أيضاً من النون في صفاته، فهو حرف مجهور يتوسط بين الشدة والرخاوة، ويتصف بصفة التكرار التي تميزه[3].

كما أنّ النون مخرج صوتي يتميز بالجهر والإذلاق، والإذلاق: هو خفة الحرف عند النطق به لخروجه من طرف اللسان أو من إحدى الشفتين أو منهما معاً[4]، والميم تشترك مع النون في هاتين الصفتين، وكذلك الراء. ولذا فإنّ هذه الأصوات تتردد في السورة بما يتناسب مع سلاسة التعبير وانسيابية الإيقاع المناسبة لموضوع الحديث عن النعم الإلهية، وعظم الجزاء وجماله في الآخرة، ويسهم هذا التفاوت في الإيقاع والتغيير من فاصلة النون إلى الميم والراء بين الحين والآخر في تحقيق الوقع الفريد، ليتجاوز مجرد المعنى إلى تحقيق تجربة سمعية مميزة، حتى لا يكاد السامع يشعر بتغيير الفاصلة لشدة انسجامها. وسيأتي تفصيل وصفها عند الحديث عن التكرار لاحقاً بإذن الله تعالى.

وتعدد الفواصل القرآنية والدقة في اختيار المخارج المتقاربة والانتقال السلس بينها تشير بقوة إلى الانسجام الصوتي، والوقع الموسيقي المتحقق في ترتيبها، والذي يخلق إيقاعاً مميزاً إلى جانب الأغراض الفنية والدلالية المتحققة من خلالها.

التنغيم

إنّ التنغيم هو ذلك التفاوت في مستوى الصوت بين الارتفاع والانخفاض ضمن إطار الجملة، ويعدّ التنغيم عاملاً مهماً يسهم في نقل المعنى بشكل أوضح، ويقوم بوظيفة تشبه وظيفة الترقيم في الكتابة، مما يعزز الوظيفة الدلالية للنص. وقد كان التنغيم عنصراً بارزاً في اللغة العربية ضمن سياقها التاريخي، كما في العديد من اللغات[5].

وليس شيء أشد تأثيراً على المتلقي من سحر الكلمات فما البال إن كانت منغّمة، فاللغة عقد مؤثر منظوم، "فإذا انتظمت بطريقة تنظيمية أو موسيقية صار التأثير مضاعفاً لوجود عاملين مؤثرين: المعاني أولاً والتنغيم ثانياً، والكلام الذي يتوفر فيه الإيقاع والتنغيم يثير في السامع انتباهاً عجيباً لما فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتتحفّز النفس وتتهيّأ لاستقبال المعاني والاستجابة لها أيا كانت تلك المعاني"[6] فكيف إذا كانت تلك المعاني والكلمات هي آيات القرآن الكريم المعجزة، وهذا يظهر لنا جلياً في سورة الرحمن حين تتظافر المعاني والتنغيم، فيتضاعف التأثير في المتلقي.

---

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1 / 75.

[4] معبد: محمد أحمد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2، 2005م، ص103.

[5] أنيس: إبراهيم، الأصوات اللغوية. مطبعة نهضة مصر، ط/ 1975م، ص58.

[6] بسة: محمود علي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي. دار العقيدة، الإسكندرية. ط1، ص62.

[1] مجيد، هارون، جماليات الوقف والتنغيم في قراءات القرآن الكريم، سورة الرحمن أنموذجاً. أطروحة دكتوراة. إشراف: د. عميش العربي. جامعة السانيا– الجزائر– وهران، 2014م. ص120.

[2] البياتي: سناء حميد، التنغيم في القرآن الكريم – دراسة صوتية. مركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات الإسلامية، جامعة بغداد. ط 2007م. ص5.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وإذا أردنا أن نتحدث عن تفاصيل التنغيم في سورة الرحمن فإنه يظهر على عدة مستويات، ابتداءً من جرس الأصوات المفردة، والمركبة، ذلك أنّ الصوت والدلالة يشكلان اللفظ، وهنا لابدّ لنا أنّ نقرّ بخصوصية الصوت العربي، فالمتأمل لكلام الله تعالى، والمتتبع لكَلِم اللغة يجد غالباً تطابقا بين الأصوات والمعاني التي تؤديها[1]، فنلاحظ تناسب المعنى العام ودلالاته مع الأصوات في السورة، فمثلاً نجد المراوحة بين التفخيم والترقيق؛ فالأصوات المفخمة مثل حروف الاستعلاء (كالقاف والطاء والظاء...) تستخدم في مواضع معينة لتعزيز الجلال والعظمة المرتبطة بقدرة الله سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: {رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ (17)}، وفي مواقف القوة وبيان القدرة مثل: {يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35)}، وفي المقابل تستخدم الأصوات المرققة مثل (التاء والسين والدال والذال) في مواضع اللطف والبسط وشرح النعم والوصف مثل: {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)}، وقوله: {مُدۡهَآمَّتَانِ (64)}.

ولذلك نلاحظ أنّ التنغيم في سورة الرحمن يسهم في توجيه المتلقي نحو المعاني التي يراد التوكيد عليها، وهذا واضح عند تلاوة السورة، فالتنغيم يكون هادئاً مسترسلاً عند سرد الآيات التي تشير إلي النعم الإلهية، لكنه يتدرج ويصبح أكثر حدة عند تكرار آية {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، فهذه الآية تدفع المتلقي ليركز علي مضمون الآيات التي تسبقها من نعم آلاء تستوجب الاعتراف والشكر، والتنغيم هنا مناسب جداً للنص، فمع تكرر النعم وزيادتها، يزداد الضغط الشعوري الناتج من تكرار آية {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} على المتلقي، والذي يولد الشعور بالتقصير في واجبه تجاه هذه النعم التي أنعم الله بها عليه. وبتصاعد المستوى الصوتي مع تعدد النعم المتناسب مع طول الآيات والأصوات الداخلية لها إضافة للفاصلة القرآنية، يتولد هذا التنغيم المتصاعد المعزز للإيقاع العام للسورة، والمتناسب مع الدلالة العامة.

التكرار

والتكرار ظاهرة بلاغية مميزة، ومعروفة عند العرب، استخدمت على مستويات عدة في الشعر والنثر، وهي في القرآن ظاهرة فريدة، خاصة التكرار في سورة الرحمن، والتكرار المقصود في السورة ليس تكرار الأحرف والكلمات، إنما تكرار الآية كاملة "تكرار الجملة"، وهذا أكثر ما يلفت الانتباه عند السماع والقراءة فقد تكررت الآية {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} في سورة الرحمن 31 مرة، والتكرار بهذا العدد الكبير أعطى وقعاً صوتياً مميزاً ومثيراً للاهتمام من جهة، ومن جهة أخرى كان له وزن دلالي كبير جداً، تخيل أن تكرر آية 31 مرة؟ وتفكر في كل كلمة وحرف! وتستحضر النعم والآلاء المذكورة قبلها وبعدها، ونفسك تعد جواباً داخلياً، تقرّ وتثبت هذه النعم وغيرها الكثير مما لا يقوى على حصرها العقل! ولسان حالها يقول:" لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد" كما رُوي: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا، فقال لقد كان الجن أحسن رداً منكم، كلما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان، قالوا :لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد"[2].

وقد جاءت الآية عقب ذكر كل فقرة من فقرات صفات آيات الله تعالى في كونه، والمشتملة على بعض نعمه، أو الإنذار بعقابه وعذابه، أو البشارة بجنته ونعيمه، وذلك تذكيراً وتنبيهاً بحاجة العباد إلى دوام تذكر نعم الله عليه عند

---

[3] مجيد: جماليات الوقف والتنغيم في قراءات القرآن الكريم، ص217.

[1] الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001م، ج190/12.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

كل فقرة من فقرات حياته، فجُعلت هذه العبارة أو الآية فاصلة في السورة، ذات تأثير جمالي مستظرف[1]. فهي في مجملها كالفاصلة، للسورة في تكرارها بين الآيات، كما أنّ نهايتها أيضاً جاءت متناسبة مع الفاصلة العاملة في السورة (النون) {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ونلاحظ هنا كيف أن الفاصلة جاءت (ان) بالتثنية، منتهية بالألف والنون ومتناسبة جداً مع الفاصلة الشائعة في السورة الكريمة، فالخطاب هنا للإنس والجنّ ليثبت الحجة عليهم جميعاً، وليستشعر المتلقي عظم الموضوع الذي خُوطب به الجنّ أيضاً.

إنَّ هذا النظام المعجز في توزيع التكرار وملاءمته للسياق يدعو العقل إلى التدبر والوجدان إلى التأثر. يقول أحمد بدوي: "لعلّ هذا السؤال في أيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، المكرر ما يثير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت وآلاء توالت".

وللتكرار في هذه السورة المباركة آثار نفسية عميقة هي الهدف الذي من أجله كان التكرار، إنَّ التكرار فيه تحدث عند المتلقي ما يسمى بالتوتر النفسي الخلاق حيث أن قراءة السورة بصوت عالٍ، أو الاستماع إليها من قارئ حسن الصوت يحدث آثاراً نفسية عميقة لدى السامع أو القارئ الأذن الواعية إنه يجعله في تجاوب وحوار مع الله تعالى، فهو تكرار يبعث النفس من ركودها وخمولها[2].

فالقيمة الصوتية هنا جاءت مكثفة جداً، وهذا ما يفسر جاذبيتها ولفتها الشديد للانتباه، فإضافة إلى التكرار الذي جاء كاللازمة بين الفقرات والجمل، جاء تناسب الفاصلة مع فاصلة السورة العامة. وكل ذلك يخلق إيقاعاً صوتياً مميزاً يستدعي انتباه السامع، ويؤدي إلى تأثيرات سمعية متعددة. فمن الناحية الصوتية يتسبب هذا التكرار مع تناسب الفاصلة في خلق نغمة موسيقية تأسر الآذان، وعلى صعيد المعاني والدلالة فإنّ تكرار هذه الآية في سياقات مختلفة من بداية السورة إلى نهايتها يربط بين أجزاء السورة، ويجعلها أكثر تماسكاً وتجانساً في بنيتها الخارجية. وهذا التكرار الصوتي يخلق إيقاعاً محبباً وسهلاً للتلاوة والتأمل يساعد المتلقي على الانتباه والتأمل.

كما أنّ الإيقاع الصوتي المتكرر مع استحضار الدلالة يعززان التأثير النفسي المرجو تحقيقه على المتلقي، فيشعر وكأنّ هذه الجملة تعمل كنداء مستمر موجه لضميره ونفسه، يذكره بنعم الله تعالى وآلائه العظيمة المذكورة في السورة وغير المذكورة، ويدفعه إلى التفكير ومحاسبة نفسه في مدى تقديره لهذه النعم وتحيي لديه مشاعر الامتنان والشكر لربه الوهّاب عليها. خاصة عندما نلاحظ تكرار كلمة {آلاءِ} ووقعها على السمع، والبعد الدلالي الذي يحدثه التأكيد عليها في كل تكرار.

ومن الخصائص البلاغية البارز في هذه الآية بشكل خاص وفي السورة بشكل عام، التجانس الصوتي بين الحروف المتقاربة في المقاطع الصوتية في {فَبِأَيِّ} ، {رَبِّكُمَا}، والذي يساهم في إحداث توازن يعمل علي تدفق الآية عند نطقها بشكل سلس ومنسجم، وقد يكون ذلك وسيلة بلاغية ترمي إلى تهدئة النغمة بين الآيات عندما ترتفع حدتها في بعض المواضع وإحداث نوع من التوازن بين قوة الله تعالى وقدرته.

أما على صعيد التكرار الداخلي، فهناك أصوات مميزة في السورة، نلاحظ تكرار استخدامها ونلاحظ القيمة الصوتية التي يحققها جرسها في السورة. سنستعرض الأبرز منها:

---

[2] الميداني: عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وفنونها وعلومها، دار القلم، دمشق، ط 1، 1992م. ج2/ 77.

[2] داحو: آسية، الفاصلة القرآنية بين الإيقاع والدلالة سورة الرحمن أنموذجاً، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 2، ص66، الجزائر. ديسمبر 2022م.

صوت الراء، والذي يتكرر في السورة بصورة واضحة جداً بدداً من اسم السورة، حتى لا تكاد تخلو آية من هذا الصوت، وكذلك نرى حضور هذا الصوت في الآية المكررة في السورة {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، وصوت الراء يحمل إيقاعاً قوياً مجلجلاً، خاصة أنه من الحروف المجلجلة المكررة التي تخلق تأثيراً لافتاً للانتباه. ولذا قيل عنه: "فإنها صوت تكراري مجهور، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيا، في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة. وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، عند نطق هذا الصوت"[1]، هذه الحركات والذبذبات هي التي تحقق القيمة الصوتية من الناحية الدلالية وتساهم في تعزيز التنغيم الموسيقي في السورة، وتعطي قراءات متعددة تنعكس من إحساس العظمة والهيمنة.

صوت الباء، يبرز هذا الصوت في غالب السورة أيضاً ويتكرر بتكرر المقاطع الصوتية والكلمات مثل {بأي}، و{ربكما}، و{تكذبان}، ويتميز هذا الصوت بكونه صوتا جهورياً شديداً يتناسب مع الحديث عن قدرة الله تعالى كما في بداية السورة {رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (17)} وقوله تعالى: {مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (20)} وغيرها من الآيات. ويمكن أن نلاحظ أن هذا الصوت حاضر في الآية المكررة، {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، ويؤدي دوراً في تكثيف النبرة التذكيرية في السورة، ويستخدم في سياقات تعداد النعم والتذكير بها.

صوت الميم، وهو "صوت أنفي مجهور، ينطق بأن تنطبق الشفتان تماما، فيحبس خلفهما الهواء"، وانطباق الشفتين عن النطق به يحدث همسا صوتي يعطي للسورة وقعاً هادئاً ولطيفاً، خاصة في آيات الإقرار بالله تعالى ونعمه في بداية السورة، حتى لا تكاد تخلو منها آية: {ٱلرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (2) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (3) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (4) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ (9) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)}. نلاحظ الهدوء في الإيقاع، والذي يتناسب مع معاني الرحمة التي تبدو في ثنايا عرض النعم.

صوت النون، وهو أكثر الأصوات شيوعاً في السورة، وغالب الفواصل السورة تجري عليه، والنون "صوت أنفي مجهور، يتم نطقه، بجعل طرف اللسان متصلا باللثة، مع خفض الطبق، ليفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية. ومعنى الأنفية في هذا الصوت، أن الهواء الخارج من الرئتين، يمر في التجويف الأنفي، محدثا مروره نوعا من الخفيف، وهي بهذا الوصف كالميم تماما، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة، فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معهما، هما الشفتان"[2] والتفصيل في وصف مخرج الصوت وصفته، جاء لغرض بيان القيمة الصوتية للحرف، فكون صوت النون أنفياً يعني زنه يحدث رنة خاصة عندما يمر الهواء في التجويف الأنفي، وهذا يضيف رقة ولياناً إلى الصوت يجعله ملائماً للسياقات التي تحتاج إلى الهدوء وذكر النعم ومشاعر الامتنان. كما أن الاختلاف الدقيق بينه وبين الميم – كونهما من المخارج المتقاربة– وفهم هذا الاختلاف يساعدنا في معرفة الوظيفة الجمالية التي يؤديها هذا الصوت، والأثر الفني الذي يحدثه عند تكراره مما يستدعي مشاعر معينة، ويخلق إيقاعاً مميزاً، ليكون الصوت المختار في الفاصلة الغالبة في السورة.

---

[2] عبد التواب: رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م، ص48.

[1] عبد التواب: رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص49.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

وبشكل عام فإن التكرار؛ سواء كان تكرار آية، أو تكراراً للأصوات فإنه يحقق قيمة صوتية عالية، ويحقق أيضاً الإلحاح الذي يعزز قوة الرسالة.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة لابد أن نسلط الضوء على النقطة الأهم في سياق هذه الدراسة، أن القرآن الكريم ببيانه وبلاغته نص معجز متناسب متناسق الأجزاء والمقاطع، وأن جزءا كبيرا من قيمته التأثيرية تكمن في الجانب السماعي الذي يتأثر بالأصوات ومن خلالها بالمعاني الدالة عليها، ولذا جاءت هذه الدراسة لتبحث التناسب بين الأصوات والمعاني، متخذة من سورة الرحمن نموذجا للدراسة كنموذج واضح لهذا التناسق حيث يتجلى جمال الصوت في خدمة المعنى بشكل متكامل حيث تناولت هذه الدراسة العلاقة بين الأصوات والمعاني، وسلطت الضوء على الأساليب الصوتية التي تعزز القيمة الدلالية للنص. وذلك من خلال أبرز النتائج التي توصلت إليها. وهي:

1. **التناسب الصوتي والمعنوي:** يظهر التوازن بين الصوت والمعنى في سورة الرحمن عبر البنية الصوتية المحكمة والإيقاع المؤثر.
2. **التدرج الصوتي والتوازن:** برزت السورة بتدرج صوتي سلس يوازن بين الترغيب والترهيب، مع توظيف الفواصل القرآنية بدقة متناهية.
3. **التنغيم والتوكيد:** يبرز التنغيم كوسيلة لتوجيه المتلقي نحو المعاني المراد التركيز عليها، من خلال التفاوت في المستويات الصوتية مما يعزز التأثير البلاغي.
4. **الفاصلة القرآنية:** وما فيها من دقة في اختيار المخارج المتقاربة والانتقال السلس فيما بينها –بين النون والميم والراء– والذي يؤكد الانسجام الصوتي ومناسبتها للقيم المعنوية والدلالية.
5. **التكرار:** وهو أكثر العناصر الصوتية وضوحا في سورة الرحمن في تكرار آية {فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، فإلى جانب خلقه إيقاعا مميزا يظهر التناسب واضحا في الوظيفية البلاغية الحيوية التي يؤديها التكرار في تحقيق المعنى المراد تعزيزه من اعتراف بالنعم وشكرها واستشعار الامتنان والتقدير، وما يثيره هذا التكرار من تساؤلات وتفكير لدى المتلقي، تدفعه إلى الاعتراف بالنعم والتفكر في كيفية تقديرها.
6. **القيمة التطبيقية:** تقدم الدراسة نموذجا يمكن توسيعه وتطبيقه على سور أخرى، ما يفتح المجال لفهم أعمق للعلاقة بين الصوت والمعنى في القرآن الكريم.

بذلك، نأمل أن تسهم هذه الدراسة في تقديم فهم أعمق لدور الصوت في تعزيز المعاني في النصوص القرآنية، والتناسب الذي بينها من خلال تقديم هذا النموذج الذي يمكن تطبيقه على سور أخرى من القرآن الكريم.

المراجع

- القرآن الكريم.
- أنيس: إبراهيم، الأصوات اللغوية. مطبعة نهضة مصر، ط/ 1975م.
- بسة: محمود علي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي. دار العقيدة، الإسكندرية. ط1
- البقاعي: برهان الدين أبو الحسن (1480هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025

- البياتي: سناء حميد، التنغيم في القرآن الكريم – دراسة صوتية. مركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات الإسلامية، جامعة بغداد. ط 2007م.
- تواتي، نعيمة، البنية الصوتية في سورة الرحمن، مجلة اللسانيات، المجلد 26، عدد 1، 2020م، ص61- 76.
- الجاحظ: عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1992م.
- الجرجاني: عبد القاهر(1992م)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3.
- ابن جني: أبو الفتح عثمان (392ه)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- داحو: آسية، الفاصلة القرآنية بين الإيقاع والدلالة سورة الرحمن أنموذجاً، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 2، ديسمبر 2022م ص66، الجزائر.
- دراز: محمد عبد الله. النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط2، 1970م.
- الرازي: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر. ط١٩٧٩م.
- الزبيدي: محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت. ط٢٠٠١.
- الزركشي: محمد بن عبد الله (1392ه)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، (1975م)
- الزوبعي، طالب، 1996م، من أساليب التعبير القرآني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.
- السيوطي: جلال الدين (911ه)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار النشر العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط 1999م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (310ه)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.
- عبد التواب: رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
- عبد المجيد: جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1998م.
- مجيد، هارون، جماليات الوقف والتنغيم في قراءات القرآن الكريم، سورة الرحمن أنموذجا. أطروحة دكتوراه. إشراف: د. عميش العربي. جامعة السانيا، الجزائر، وهران، 2014م.
- معبد: محمد أحمد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2، 2005م.
- الميداني: عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وفنونها وعلومها، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2025